

عيسى الرومي

الأزرق

...شعر...

- الأزرق.
- عيسى الرومي- فلسطين
- 0568-523216
- isaroumi@yahoo.com

- الطبعة الأولى- 2008
- دار أكتب للنشر والتوزيع
- القاهرة- 1 ش المعهد الديني- المرج
- رقم الإيداع: 2008/9758
- ردمك: ISBN: 978-977-6297-03-6

الأزرق

1990-1987

يا حبّ: قد نطق اللسانُ
وغنت العينان:
يكشف الحقيقة عاشقانِ
وأنا وأنتِ، حبيبتِي
سنكون ينبوع المسافرِ



فإذا اكتشفتِ حبيبتِي
أني لحنٌ تملأ الأحجارَ معناها
وتختصر الطريقَ إلى البداية والأغاني
فارفعِي سرجَ الحصانِ،
وودّعي
قبلي
زوّديني بالرؤى
إني أنا، الآن، المسافرُ



يا حبّ: تتسع الخطى
والوردُ يسقط من عظامي كالورق
يا حبّ: تنفرج الأيدي

والعصافيرُ الصغيرةُ تنطلقُ
يا حبّ: تنفجر الوصايا
والمرايا تحترقُ



فإذا تركتُ حبيبتي
زندي إليك هديةً
ومضيتُ في سفرٍ طويلٍ
فافرحي بهديتي
فهي الغصون، وأنتِ أمطارُ الفلقِ



وإذا اكتشفتِ، حبيبتي
أني لحوّنُ تحملُ الآن المراكبُ
فتزودي من صرختي
ما شئتِ من طربٍ
ومن غضبٍ لتتحد المساربُ
وتوسديني كنتِ طفلاً أو قدراً
سأراك، تشتعلين في قلبي الصغيرِ
وأراك مرفئي الأخيرِ

وحبي، دائماً، كالشارع الملائن
وقلبي، دائماً، كالجسر والشيطان
فمن يدخل إلى حبي
ومن يدخل إلى قلبي
يجد إنساناً
وأغنيةً مكللةً بشمس الله والإيمان



ويا حباً حملناه:
لماذا أحتسي القهوة
صباحاً، دونما نشوة؟
لماذا لا أرى وجهي على المطر؟
لماذا أركب الفرس الحرون، وقهوتي
شعري، ونائي الحب في السفر؟



ويا حباً يُجمّعني:
أراك كما تكونُ

أراك ذاكرة الغصون،
أراك في ليل السجون، فلا أهونُ
أراك في دمع الصغارِ
أراك في فرح الثرى
وأراك في خبزي
وصوت العندليبِ
أراك بابَ الياسمين، فلا أهونُ



ويا حبًّا يُكَمِّلني
ويا حبًّا هو الأزرقُ:
أريد لديك أن أبكي
وأن أحكي
وأن أغرقُ
أريد البحر والمطلقُ



ويا حبًّا....:
سأذكر كلَّ شيءٍ
سأترك كلَّ شيءٍ
فماذا أنت يا حبُّ
أسفحُ أنت أم جبلُ؟
حريقُ أنت أم قبلُ؟
لماذا أنت في قلبي

وتوصلني إلى غيري
ولا تصل؟



ستبقى الأزرق الأزرق
ستبقى الريح والمطلق

ولأنّ حبي واضحٌ كحقيقتي
أمتدّ بين الجسرِ والصحراءِ
تذكرةً لموتٍ لا يموتُ



ولأنّ ذاكرتي تخونُ
أتقنُ هندسةَ الحنينِ
والعزفَ في زمن الجنونِ



ولأنّ أغنيتي تبوح بنبضها
ما زلتُ أَلثمُ كَفَّها
وأزِيلُ عن وجهي غبارَ الأسئلةِ:
من يسكنون الآن قلبي
يسرقون الوردَ حِكْمَتَهُ
ويحشون المدافعَ بالنشيجِ

إلى الشعر

جميل!
أنت يا سيد
كدمعة طفلة حري
جميل!
أنت كالمعبد
كثوب أبي، وجلسته وبسمته
جميل
أنت كالذكرى!



جميل!
أنت إذ تمشي على الشارع
وتبصر أمة تعري
فترسل لحنك الرائع
ليملأ موتنا بشرى



جميل
صوتك الآتي

من الإعصار والنارِ
جميلٌ
وجهُكَ العاري
إذا غطى جراحاتي ومأساتي



جميلٌ
أنت يا سيدُ
سأمدح صمتك العالي
وأشري ثوبك الغالي
لأنك في الدجى
فلقي
لأنك دمعتي
وحصانُ تذكاري

ومن غزّة
إلى بيسان
نرى العزّة
تقول الآن:
سلامًا أيها الوطن
ولو قُطعتْ
أيادينا وأرجلنا
نسير إليك لا تعب،
ولا وهن
إلى الكرمل
إلى المجدل
فتتبع موجنا السفن
ويتبع خطونا الزمن



ومن غزّة
إلى بيسان
نرى العزّة

تقول الآن:
ملكنا الأرض من جدّ لجدّ
ملكنا البحر من جزر ومدّ
فيا عصفورة الذكرى أعدّي
لنا أيامنا- أيام مجدٍ
ونحن النخل إذ ينمو سريعًا
وننجب فوق تربتنا التحدي



ومن غزّة
إلى بيسان
نرى العزّة
تقول الآن:
سنحمي الأرض والأمة
وإن متنا
نمّت، كي نشعل الظلمة
ويعلو فوقها الإنسان

نابلسُ تكتب: الوطن

"إلى عبد الكريم بريك"

نابلسُ، يا كريمُ، ترتدي ثيابها
وتسحب الزمنُ
إلى ترابها
وتكتبُ: الوطنُ
على هضابها

•

نابلس شمعدانُ يومنا
وعنفوانُ صخرنا
وعظمُ لحمنا
وتشعل النهارَ في دمائنا

•

نابلسُ يا كريمُ
تُقدّم القربانَ كل يومٍ
وتركب الحصانَ دون سرجٍ
وتبصر القادمَ دون برجٍ
وحين نبتغي الرجوعُ

إلى نفوسنا. إلى زيتونها
جسرَ مرورٍ تجعل الضلوعُ

●

نابلس يا كريم
محاصرة
فمن يقدم المناصرة؟

●

تصعد من أهدابنا
ومن لحومنا،
ومن دمائنا..
تُعانق الجليلَ والخليلَ والمستقبلا
وتكتبُ: الوطنُ
على هضابها،
على جباهنا..

كانتِ الليلةُ ريحًا ورعودُ
والليالي!
في بلادي ماطرةً..
وقُعْ أقدامٌ على زهر الحديقة
يتدلى
من سقوفٍ نافرةً

كسروا البابَ، وقالوا:
أين أحمدُ؟
أين من أشعل، في الأمس، الحرائقُ؟

أخذوني
وأخي يبكي عليّ
قلتُ للجندي: مهلاً!
قُبِّلتي ليست دويّا
يا أخي:
لستُ أنا وحدي النبيا

وضعوني وسط غيهب
والزنازينُ حرابُ
قلت للسجانِ: إني
أبصر، الآن، براكينَ وكوكبُ
تجعل السجنَ خرابُ



عندما جاء الصباخُ
صلبوني فوق أعواد اللهبِ
قال قلبي للرياحُ:
رغم موتي
سيظل الرأسُ
مرفوعَ الجبينِ

.....

إلى غابة السرو، ملّت
ونمت..

هناك، عرفت النشيد الأخير
ولم تكتب الكلمات الأخيرة
نمت!

ورحّت تواصل حلمك

...

لا شيء يُرجع وجهك لي

...

وتجيء

كماء السواقي وضيء

كخوف الصغار بريء

فما أجمل الوجه!

لولا بقية حزن..

●

سألتك: عُدّ ولدًا من جديد!

لنسرُق داليةَ الجارِ
نضحكُ حتى البكاءِ
ونمسكُ شبرًا
من الحلم المستحيلِ



زيادُ: تكلمُ!
لأعرف أين أنا!
ومُدَّ، من الموتِ، حبلاً
لأخرج من عزلتي للسناءِ
وحدّثُ قليلاً
عن الرحلةِ القادمةِ
لتتضحَ الصورةُ المعتمةُ
زيادُ: تكلمُ. تكلمُ!
فما زال قلبي يراود قلبي
وينتظر المحكمةُ



زيادُ:
رحلتَ
ونمتَ طليقاً
على نغمات الشجرِ
وما زلتَ تحيا معي
وأنا سأواصل هذا السفرُ

مع بوشكين

العالم طينٌ يا بوشكين..
نبحث عن شمسٍ
نبحث عن خلٍّ
يحمل عنا
بعض الآثام



ونحسُّ جراحًا تورق فينا
وتغني أغنيةً لم تُكتب، بعدُ
نحسُّ نبياً يُقتلُ
يترك بابًا مفتوحًا ومصابيحُ
تأخذنا في دربِ الريحِ



العالم طينٌ!
والليلة جئتَ إليّ-
صحوت، مشيت، ذهلت، بكيتَ
هربتَ من الموتِ، وجئتَ إليّ
مكسورًا كالنخلِ،

مضيقاً كالليل،
وممتلئاً بالكلمات، ولم تنطق
لم تهمس، لم تتحرك
لم تنعس، لم تتفكك
لم تكتب شعراً

....

ما بك بوشكين؟
أترأخ تخاف السكين؟
لا تصمت!
فالبيت الصامت يملكه الشيطان

●

قلت: نبيك منسي. وشتاؤك منفي
معذرة!

طير الفينيق دمٌ يمشي في النور
ويعرش فوق بنادقهم
ويعانق أحذية الأطفال

●

بوشكين:
لن أبكيك
ولن يبكيك الولد الطالع
إذ يقرأ وجهك:
زنديق أنت، وأنت العاشق

والمارقُ
والراحل
والقادمُ...



الليلة!
والعالم طينُ
وتركتَ حذاءك بين يديَّ

أيتها القبرة

أيتها القبرة:
لك القلب حين تطيرين أفقا
وحين تحطين غصنا
لك القلب، يا أمنا،
قنطرة
ولمن يسلبون الندى
مقبرة

....
والشتاءُ يعلمني حِكْمَتَهُ:
كل شيءٍ ذهبَ
ولم يبقَ غير اللهبِ

مسافر

مسافرٌ
تركتُ، خلف جثتي، المدينة
وجئتُ دون قبلةٍ
ودونما سفينةٍ
ولن تطول وقفتي
هنا!
على أبراجها الرهينة

لا تتركيني نازفًا
جريح
أخطو إلى الأمام خطوةً
وأستريح
ولا أريد أن يكونَ
في عيون الشمس لي ضريح
أريد أن أكونَ قرب نخلةٍ
تهدي عيوني ظلّها والريح

وجه

هذا أنا!
وجه طفولي
حزين
ورد وطن
لا تزرعيني في التراب
بل ازرعيني في اليقين

خوف

وكنْتُ خائِفاً
وكنْتُ خائِفةً
من خوفنا، غداً
تهبُّ عاصفةُ!

تعب

تعب المغني من يديه
وبكى
فمن يبكي عليه؟

●

تعب المغني من كلام العاشقين
ورمى الفؤادَ على التراب
ومشى سريعًا في السحاب

كيف

- كيف دخلتِ إلى القلبِ
كيف؟
- لكل خريفٍ
شتاءٌ وصيفٌ

لماذا

لماذا أنا خائفٌ
من حبيبٍ
لقلبي دلفٌ؟
وصار تراي
وصار النجفُ

البحر

البحر شيخُ للزمانِ
يمتدّ عتمةً مضاءةً
تحرك اللسانُ
وتعجز اللسانُ
في حيرةٍ، وفي براءة

الشفق

قال لي وحي الشفق:
كل شيءٍ يحترقُ
غير روحٍ ينطلقُ

سأغني
إنني حين أغني
لا أموت:

مزقينا
وانثرينا
كالبدار
إننا
نحن قرابين النهار

ميلاد

سنة العشرين ورد
وقرنفل
فتجمل يا صديقي
وتحمل
يبدأ التكوين
من لحنك، والريحُ شراعُ

تقدمي

الموت!
واقفُ أماننا
تقدمي!
الموت!
يخطو نحونا
تقدمي!

سألتك

سألتك-
حقاً نحبُّ كما
نشتهي أن نحبُّ؟
إذن
فلماذا يغيب اللهبُ؟
وما الحب فينا؟

تمرد

أريدك،
كالنهار، بواحتي
تتمردين
وتشعلين الناز

هوية اليونان

أنا المقتول والقاتل
أخذتُ هوية اليونان في السابق
ورحْتُ أخطُ ألحاني
على الساحل
فدمّر دفتري موجُ
وأسندني
إلى بستانه الذابلُ

لولاك

قلبي البحارُ
وأنتِ الريحُ إنْ نطقتُ
وحبّنا
ما تقول العينُ للهدبِ

لولاكِ!
لم أحيَ في الدنيا
على مهلٍ
ولم أجيئُ
كمجيءِ العارضِ الخصبِ

قرأتُ عينيكِ في صمتي
وأغنيتي
ورحْتُ أكتبُ أيامي
ولم أخبِ

وأحمل النخلَ
في جوانحي نغمًا
يقول للريح:
هَبِّي من ذرى كتبِ

إني رأيتك،
فوق الشمس، واقفةً
عيناك حبي،
وأيامي، وأسرعتي
هاتي يديك
فما صار الهوى قمرًا
إلا إذا
حملتُ كفاك عاصفتي

اجتماع

ويجتمع الحبُّ والملحُ في
مهجةٍ واحدةٍ
هما
التوأمينُ
هما
القمرانُ
هما
اللحظةُ الخالدةُ

وحنين أراك يفرّ
الكلام
وتنطق عني عيوني
وحنين أروح إلى كتبي
تقفزين من الكلمات
حمام
وحنين أسافر نحو الجنوب
تكونين نافذة لقطار
الغرام
وما في الجنوب
وما في القلوب سواك

يا من أحبُّ!
ويا من يبسْتُ
على إسمها
ومصّ دمي
صمْتُها:

خذي
إلى وطن أو كفنْ
وكوني إلهي
وكوني الوثنْ

قراءات

أنا شاعر الكلمات..
أسقطني الكلام، وفجرتني الأغنيات
منذ النزوح عن الكهوف إلى الوصول إلى القمر
وأنا أفتش عن مطر
مطرٌ يفتش عن مطر
سألوا حذائي: عمّ تبحث في الغيوم؟
- عن النجوم.
- وعمّ تبحث في الصحاري؟
- عن ندىٍّ وخميلةٍ
لأصوغ أغنية التراب، وأنصرفُ

●
أنا واقفٌ فوق الترابِ
دمي ترابٌ
يبصر الأيام
يحملها إذا ابتعد القريبُ
يكلل الأشجارَ أجنحةَ النهارِ
ولا يريد سوى الوصول إلى الترابِ،

ويعترف:
أني ترابٌ جمعته سنابلُ

●

وسألت نفسي عن جدودي
- أينما كانوا، نكون ولا يكون لنا ظلالُ
وسألت يومي عن وجودي
- أينما نمشي يهشمننا السؤالُ
وسألت قيدي عن رفاقي
- سرقوا نبيلك، يومها
شربوا، وعلوا الأوسمةُ
شربوا، وشدّوا الأحزمةُ
لكنهم عند انفجار الريحِ ذابوا
والمطايا مسرجةُ

●

أنا شاعر الفرح الممزق كالغيوم..
وأستطيع اليوم أن أمشي
وأفتح في الخريف بداية الأشياءِ
أبدأ حينما تقف القوافلُ
أستطيع تذكر الماضي
كتابةً ما نسيْتُ على جدارٍ أزرقٍ
يعلو إذا سقط المقاتلُ
أستطيع القول:

إنَّ الرِّيحَ تحبُّل في التراب المرّ
منها يولد اليومُ الجديدُ، وأكتشفُ:
أني نبيُّ كذِبته قبائلُ

يا مصرُ:

يا مصرُ:
قد أعلنتُ في المدن الصغيرة والكبيرة أنّ حبي من
سبات الشرق يطلعُ، حربَةً وضماً
لو تلمسين القلبَ عند مسيره، من شوقه، احترقتُ
مياهُ النيلِ، وانفجرتُ ليزداد امتداداً

تلك الحكاية

عصفورة الذكرى
وموجٌ للحنينِ
رسائلُ الأسرى
لقاءُ العائدينَ من القبورِ
وصرخةُ حرّى
تدقُّ البابَ
تفتحه لمن يأتي
ملاكاً كان أمْ بَشَرًا
وُبشرى الوردِ
عمانُ!
اعترافُ العاشقينَ بحبهمْ
وبموتهم عند الظهيرة
وتفتُّحُ الأزهارِ في خشب المنافي والغيابِ
●
كانتُ
وكنْتُ أنا أصيخُ:

أنا الذبيحُ
أنا المليحُ
أنا القبيحُ
أنا الفصيحُ
أنا المسيحُ، أيا أبي، كي تفتديني
من ضياعي أو حنيني
كي تفتديني
من سكوني أو جنوني
فاقرأ ضياعي في عيوني
وارحمْ ظنوني!
ما زلتُ إبنك يا أبي
وأبا حفيدكُ



تلك الوصيةُ لم تصلْ
والاعترافُ سلاحُ أيامي
وأحلامي المثيرةُ
دَوَى!
وشقَّ الروحَ
والجسدُ انفصلَ
وتساقطتْ في الكفِّ أمطارُ غزيرةُ
وزرعتْ بستانِي ورودًا منْ رؤى نفسي..
قطفتُ سنابلي

وحلقتُ ذقني
وازدتُ الاعترافَ بما يهيج به فؤادي
واعترفتُ
أيا أبي،
فالاعترافُ سلاحُ أيامي
ومصباحي على هذي الجزيرة



ورأيتها
للقلبِ زنبقةً وتفاحةً
شمساً ونوراً يملأ الساحةَ
ورأيتُ أزهارَ الطفولةِ تزدهي
وطريقَ مدرستي الطويلِ
ورأيتُني
طفلاً تمشيه الحقولُ
ورأيتها
خبزي وصوتي
وندىً يمرّ على جبيني



قلتُ: المدينةُ نائمةٌ!
والناسُ ينتحبون تحت سمائها
قلتُ: المدينةُ ظالمةٌ!
قلتُ: المدينةُ غائمةٌ!

والناسُ لا يجدون غير حكايتي..
لا شيء يحمينا
سوى روحين يتحدانِ في كل الفصولِ

●
تلك الحكايةُ، يا أبي،
أترى عصيتك يا حكيماً؟
أترى رميتك في الجحيم أم النعيم؟!
أترى نسيتك أم حملتك في دمي؟
أترى صدقتك أم كذبتك؟
أترى لعنتك أم عبدتك؟
لا! لست أدري!

غير أني
ما زلتُ أنتظر البريدُ
والكونُ يغمره الجليدُ

●
ردّث، وقالتُ:
انتظر!
وقرأتُ في العينين وعدَ البحرِ
تاريخَ الشعوبِ
رأيتُ تموزاً يعود إلى الحياةِ
مدّلاًها عشقاً
ويقتله القمرُ

ونظرتُ ساعاتٍ وأيامًا
ونمت على حِجْرٍ
وحبيبتِي...
وأنا أمرّ على صحونِ المائدةِ
لا أشتهي غيرَ السلامِ مع الكلامِ
لا
أشتهي غيرَ الكلامِ
ودمي ينزّ
وديكُ جارتنا يهزُّ نوافذي:
طلع النهارُ
وعلى الجدارِ
دوّنتُ رُوحِي الشاردةَ:
للحبِ راياتُ
ولي شط انتظارُ

●

أَمْشِي على الطرقاتِ يأخذني الحنينُ إلى الحنينِ
أَمْشِي ويأخذني إلى بلدي
هتافُ طار من جسد السجينِ
أَمْشِي ولا أجد السفينَ،
ولا أرى
لا!
لستُ أعشَى!

أين أولادي، وأحفادي الصغار الطيبون؟

●

أمشي ولا أمشي
أنا الواقف
أنا الزاحف
والدرب في نعشي

●

أكتب
ولا أكتب-
من كان لي كوكب
قد غاص في الغيب
وتفرق الموكب

●

أرحل
ولا أرحل
واليوم كان خميس
والكل لا يجهل
في الليل كنت عريس

●

وأموت عند الظهر
يأتي إليّ النهر
يبكي عليّ القبر

فأعود عند الفجر

•

والصحب قد راحوا
لمتاعهم راحوا
والسرّ قد باحوا

•

تلك الحكاية يا أبي
كانت
ومرت في شراع الذاكرة
فَلَقَّا
ومدت للغريق يدًا
فلم تحمل يداي سوى الأمانى الحائرة

....

والآن تنفجر القصيدة -
لا تقل!

فالطير طارَ
وسارت الأقدار -
لا كلبٌ يعيد نباحه
لا هرةٌ تلد المدى
لا القلبُ أذنب... كم تغرب!
كم تقلب في الفراش، وما شكا!

•

تلك الحكايةُ يا أبي
كانتُ
وللنسيانِ تذكّارُ
سيدخل في البيوتِ
وفي القلوبِ
وله ديببُ
وارتعاشٌ في الأصابعِ
وارتباكُ بكارَةِ العشِقِ النضيرِ
ولقى الحبيبُ
وسأذكر النسيانَ
حتى أرفعَ العلمَ الأخيرِ
حتى أغني من جديدِ
وأعيدَ ترتيبَ البريدِ
وسأذكر الماضي
لأمشي في صهيلِ الريحِ سلطانًا
وأعطي
أعطي القصيدةَ للعيونِ السودِ
و الشَّعْرَ الحَريزِ
حتى أعودَ إلى الحبيبةِ، واثقًا
كالشمسِ
أغسل عن يديها
أغنياتي المُدلهمةُ

وأنيرَ أسئلتي الكثيرة:
الحب أغنيةٌ منيرةٌ
والموجُ يحتضن الجزيرة.

1991/11/1

الفهرس

الصفحة	القصيدة
5	يا حب
7	الأزرق
10	قهوة على الطريق
11	إلى الشعر
13	نشيد
15	نابلس تكتب: الوطن
17	الاعتقال
19	زياد
21	مع بوشكين
24	أيتها القبرة
25	تعليم
26	مسافر
27	لا أريد
28	وجه
29	خوف
30	تعب
31	كيف
32	لماذا
33	البحر
34	الشفق
35	غناء
36	ميلاد

37	تقدمي
38	سألتك
39	تمرد
40	هوية اليونان
41	لولاك
43	رأيتك
44	اجتماع
45	وحيث
46	يا من
47	قراءات
50	يا مصر
51	تلك الحكاية

صدر للمؤلف:

...ومتاح على موقع (مكتبة نور) الالكتروني

• الشعر

- 1- الأزرق.
- 2- الكلمات الأخيرة.
- 3- بل الأعلى- سماء الفرات.
- 4- تقطير- يجيء الجميل.
- 5- ديوان غزة: من الفسفور إلى الزاجل.
- 6- كونشيرتو الأسود.
- 7- قربات كأشجان الحفيف.
- 8- السروة آنستي.
- 9- إحدى مراياه.

• نثراناز

- 1- بيت الزمان.
- 2- نهر في شفاه يمامة.
- 3- بين الأصل والصورة.
- 4- زاجل بالسماء مجزوم.
- 5- المناشير.
- 6- تحية إجلال للعيون البنية.

• القصص

- 1- الأشباه.
- 2- مثنى مثنى.